المحاضرة الثامنة بعنوان

نشأة مدرسة أهل الحديث ومدرسة أهل الرأي

مدرسة أهل الحديث في الحجاز:

مدرسة أهل الحديث هي أول المدارس الفقهية ظهوراً، والسبب في ذلك أن مكة والمدينة هما موطن الدعوة والتشريع.

✓ **نشأتها:**

نشأت مدرسة أهل الحديث في بلاد الحجاز، فقد شرف الله مكة والمدينة ببعثة رسول الله ﷺ وخصّهما بنزول الوحي، وبخاصة مدينة رسول الله ﷺ باعتبارها دار الهجرة، ومهبط معظم الأحكام وبها مسجد رسول الله ﷺ وفيها آله وصحبه ومقر خلفائه من حفظة أحاديثه ﷺ حتى كانت بحق مرجع الأمصار في الأحاديث والسنن والآثار، ولهذه الميزات وغيرها استمرت المدينة مصدر إشعاع وريادة لكل الأمصار، وكانت الموئل والمنشأ لمدرسة أهل الحديث.

✓ **منهج مدرسة أهل الحديث:**

المنهج الذي اعتمدت عليه مدرسة أهل الحديث كان متميزاً، حيث تتمثل في الاعتماد على ظواهر النصوص، دون اللجوء إلى الخوض في علم الكلام أو العمل بالرأي إلا في القليل النادر.

ويمكن أن نلخص المنهج الذي تقوم عليه هذه المدرسة من الناحية الفقهية في النقاط التالية:

أ- الاعتماد على النص من القرآن، فإذا وجد فلا يلجأ إلى غيره.
ب- إذا لم يكن نص من القرآن فمن السنة، حيث كانت الأحاديث كثيرة؛ وذلك لوفرة حفاظها في المدينة.
ج- العمل بما أثر عن الصحابة من فتاوى، فيستندون إلى إجماع الصحابة عامة، فإن لم يوجد عملوا بإجماع أهل المدينة، ويقدمون عمل أهل المدينة على خبر الآحاد.
د- إذا اختلف الصحابة في الحكم تخير أصحاب هذه المدرسة من أقوالهم ما يرونه أرجح لمعنى يقتضى الترجيح.
ه- عدم اللجوء إلى الأخذ بالرأي إلا في القليل النادر، وفي حالات الضرورة، وحيث لا نص ولا إجماع.

✓ **أشهر فقهاء هذه المدرسة:**

تأسست هذه المدرسة على علم كثير من فقهاء الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين:

- فمن الصحابة:

كان على رأس مؤسسي مدرسة أهل الحديث من الصحابة رضي الله عنهم ومن أشهر فقهائها: عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وعائشة، وعبد الله بن عمر، والزبير بن العوام، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

- ومن التابعين:

من أشهر فقهائها من التابعين: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار مولى ميمونة، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث القرشي.

hadeel alnafea

وقد اشتهر هؤلاء بلقب: (فقهاء المدينة السبعة)، وعنهم انتشر فقه المدينة، وعلى أيديهم تتلمذ الكثير من فقهاء هذه المدرسة الذين جاءوا بعدهم.

- ومن تابعي التابعين

من أشهر فقهاء مدرسة الحديث: محمد بن شهاب الزهري، وأبو الزناد عبدالله ابن ذكوان، وربيعة بن عبد الرحمن المعروف بـ (ربيعة الرأي)، ويحيى بن قيس الأنصاري.

✓ **عوامل ظهور مدرسة أهل الحديث**

العوامل التي أدت إلى ظهور هذه المدرسة كثيرة لعل أهمها ما يلي:

1. الأخذ بما كان عليه الصحابة حيث التمسك بالنصوص والآثار، والبعد عن الإفتاء بالرأي إلا في حالات الضرورة، حيث لا يوجد نص.
2. كثرة الأحاديث واطمئنان أصحاب هذه المدرسة على صحتها، فقد كان تحت أيديهم ثروة ضخمة من الأحاديث التي حفظوها عن رسول الله ﷺ وعلّموها غيرهم، كما كان معهم الكثير من آثار وفتاوى الصحابة، وهذا جعلهم في غير حاجة إلى استعمال الرأي.
3. البعد عن مواطن الفتنة، وبواعث النزاع، فليس ثمة أحداث جديدة في المدينة؛ لأن التشريع نزل فيها، وقد ظل الحديث محفوظاً، لا تتطرق إليه تهمة، ولا تشوبه شائبة.

لأجل هذه العوامل وغيرها ظهرت مدرسة أهل الحديث في بلاد الحجاز، وكان لها فضل عظيم على الفقه الإسلامي على مر العصور، وهذا ما نتحدث عنه في النقطة التالية:

✓ **الأعمال التي قامت بها مدرسة أهل الحديث:**

أعمال كثيرة قامت بها هذه المدرسة وتحققت على أيدي علمائها، انتفع بها الناس ومازالت تؤتي ثمارها إلى اليوم، ومن أهم هذه الأعمال:

1) جمع السنة النبوية، وحفظها، وتدوينها :تكاد الروايات تجمع على أن أول من فكّر في تدوين السنة تدويناً عاماً ترعاه الدولة كما سبق أن أشرنا هو الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، فقد كتب إلى عامله بالمدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم: "انظر إلى حديث رسول الله ﷺ فأجمعوه" والدور الذي قام به ابن شهاب الزهري في التدوين كما مر بنا.
2) جمع أقوال الصحابة رضي الله عنهم وفتاواهم، وتدوينها، والعمل بأحكامها.
3) توجيه أنظار المسلمين في جميع الأقطار إلى العناية والاهتمام بسنة رسول الله ﷺ والآثار، وذلك عن طريق تبليغهم إياها بواسطة من يبعثونه من الفقهاء إلى هذه الأقطار، أو مجيء علماء هذه الأقطار إلى المدينة للتعلّم والحفظ، ثم نقل ذلك إلى بلادهم.

مدرسة أهل الرأي في العراق:

مدرسة أهل الرأي في العراق لها من الشهرة والسبق ما تتساوى به مع مدرسة أهل الحديث بالحجاز؛ ذلك أن العراق كان موطناً لكثير من الصحابة، وكان بها نجوم لامعة في الفقه مثل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، ولأنها كانت مقراً للخلافة حين نزل بها عليّ رضي الله عنه مما جعلها وجهة لأنظار كثير من العلماء، وبخاصة الكوفة.

ونتحدث عن هذه المدرسة من حيث منهجها، وأشهر فقهائها، والعوامل التي أدت إلى ظهورها وما حققته من إنجازات.

hadeel alafifa

➢ **منهج مدرسة أهل الرأي:**

المنهج الذي تقوم عليه مدرسة أهل الرأي هو أن الأحكام الشرعية معقولة المعنى، وأنها شرعت لتحقيق مصالح العباد، فيجب البحث عن علل الأحكام، وحكمة تشريعها، دون الوقوف عند ظهور النصوص.

وقد اتبع الصحابي عبدالله بن مسعود ذلك، وهو رأس هذه المدرسة، وأساس منهجها، وقد كان ابن مسعود إماماً في القراءة والتفسير بشهادة رسول الله ﷺ له، فقد وصفه بأنه غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ، وقد علم عبدالله أصحابه القراءة والتفسير والفقه، إلا أنه في تعليمهم الفقه أفتى بالرأي؛ ولهذا غلب على أهل هذه المدرسة الاجتهاد بالرأي في الفقه وحده دون سواه.

وأما منهج هذه المدرسة في استنباط الأحكام فهو لا يختلف عن منهج أهل الحديث، فأول ما يبحثون في كتاب الله تعالى، فإن لم يجدوا ففي سنّة رسول الله ﷺ، فإن لم يكن أخذوا بما ورد عن الصحابة، فإن لم يكن اجتهدوا برأيهم.

➢ **أشهر فقهاء هذه المدرسة:**

مدرسة أهل الرأي تستمد أصولها من الصحابة رضي الله عنهم الذين نزلوا العراق، وبخاصة أولئك الذين ظلوا فيها -وفي الكوفة خاصة- يعلمون الناس، ويفتونهم، وقد اشتهرت هذه المدرسة على أيدي كثير من الصحابة، والتابعين وتابعي التابعين.

- <u>فمن الصحابة</u>

يعد عبدالله بن مسعود أشهر فقهاء هذه المدرسة، فهو المعلم الأوّل لأهل العراق، وإذا كان ابن مسعود هو المؤسس الأول لهذه المدرسة فإن الذي رسم منهجها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد تولى ابن مسعود تطبيق منهج عمر والسير على دربه، لذا نراه يقول: "لو سلك الناس وادياً وشِعْبًا، وسلك عمر وادياً وشعباً، لسلكت وادي عمر وشعبه".

ومن أشهر فقهاء هذه المدرسة من الصحابة على بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد بدأ تأثيره عندما ذهب إلى الكوفة، واتخذها مقراً للخلافة، بيد أن المدة القصيرة التي أقامها رضي الله عنه بينهم وما صاحبها من أحداث وفتن جعل أثره الفقهي غير ظاهر.

- <u>ومن التابعين</u>

تتلمذ على يد ابن مسعود كثير من التابعين، أخذوا علمه، وكان لهم الفضل في نشر هذه المدرسة، ومن أشهرهم:علقمة بن قيس النخعي، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد النخعي، وشريح بن الحارث الكندي، والحارث بن سويد التيمي، وعبيدة بن عمرو السلماني الهمداني وغيرهم.

- <u>ومن تابعي التّابعين</u>

من أشهر فقهاء هذه المدرسة من تابعي التابعين: إبراهيم النخعي، وعامر بن شراحيل الشعبي، ومِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ العامري، وأبو بكر بن أبي موسى الأشعري، ومحارِبُ بْنُ دِثَارٍ، فقد تفقه هؤلاء في الكوفة على أيدي علماء التابعين، ورحلوا إلى بلادهم، وعلّموا أهلها فقه مدرسة أهل الرأي.

➢ **العوامل التي أدت إلى ظهور مدرسة أهل الرأي:**

يرجع سبب ظهور هذه المدرسة إلى عوامل، نجملها فيما يلي:

1. التأثر الكامل بمعلمهم الأوّل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث أخذوا عنه العلم، وكان هذا عاملا مؤثراً في ظهور هذه المدرسة.

nadeel alnafea

2. التّشدُّد في قبول الحديث وروايته، فقد وضعوا شروطاً للأخذ بالحديث، والسبب في اشتراط هذه الشرط كثرة الوضاعين للحديث، وانتشارهم في العراق في ذلك الوقت، كما ألمحنا إلى ذلك سابقاً.
3. اختلاف البيئة التي يعيشون فيها، فقد كانت العراق مثاراً للأحداث؛ مما ترتّب عليه حدوث وقائع جديدة، وكان من الضروري أنْ يفتى فيها بحكم شرعي، وقد لا يوجد النّص، فكان لابد من الاجتهاد بالرأي، فوسّع هذا من دائرة العمل بالرأي، فكان لابدّ من الاجتهاد بالرأي.

➢ **ما حققته مدرسة أهل الرأي من انجازات**

لمدرسة أهل الرأي إنجازات كثيرة تحققّت بفضل علمائها، كان لها أثرها على الأُمّة الإسلاميّة على مرّ العصور.

- أهم هذه الانجازات

1) جمع الأحاديث التي كان يحفظها الصحابة الذين عاشوا بالعراق.
2) العناية والاهتمام بأقوال وفتاوى الصحابة، حيث خَرَّجوا عليها أحكام الحوادث التي جدت لهم.
3) استخلاص كثير من علل الأحكام وحكم تشريعها، والإكثار من المسائل الفرعية.
4) سد الباب أمام واضعي الحديث المنتشرين في العراق، حيث كثر الوضاعون في الحديث، فتصدي أصحاب هذه المدرسة لهم وحاربوهم، ووضعوا شروطاً شديدة للأخذ بالحديث؛ لمقاومة الكذابين الوضاعين.
5) نمو الفقه الافتراضي: (وهو افتراض وقوع حوادث ثم معرفة الحكم فيها) وقد دفعهم إلى ذلك كثرة ما يعرض لهم من مسائل وحوادث، ثم ساقهم ذلك إلى التحري وراء الفروض، حيث كانوا يفترضون مسائل لم تكن حدثت ويضعون لها الحكم.

أسباب الاختلاف في المنهج الاجتهادي بين المدرستين

الاختلاف بين مدرستي أهل الحديث، وأهل الرأي في المنهج الاجتهادي يرجع إلى عدة أسباب، يمكن حصر أهمها فيما يلي:

1. اختلاف المرويّات من الأحاديث والآثار:

هناك مرويّات رواها أصحاب كل مدرسة عن شيوخهم من الصحابة، وكان عند كل مدرسة من المرويات ما ليس عند الأخرى، وقد اختلف التابعون في كثير من المسائل بناء على اختلافهم في المرويات التي تلقوها من الصحابة، فلما جاء من بعدهم ممن أخذ عنهم كانوا أشد تمسكاً بها، فكان اختلاف المدرستين راجعاً إلى اختلاف فتاوى شيوخهم الذي يرجع في الأصل إلى اختلاف مروياتهم.

2. اختلاف البيئة والموطن:

فالبيئة لها أثرها في الحياة العلمية، ومنها الفقه، فأهل الحديث كانوا بالمدينة، ومجتمع المدينة وبيئتها لم يصلهم المعترك الفكري الذي كان يدور في العراق، بل كانت هادئة، بخلاف أهل الرأي فهم في العراق، والعراق كانت موطن أمم مختلفة في حضاراتها، متباينة في ثقافاتها وعاداتها، مشحونة بركام الأفكار المتصارعة؛ وقد أدى هذا إلى اتساع دائرة الفتيا بالعراق مما اقتضى استعمال الرأي.

3. اختلاف النظر إلى بعض الأحاديث والآثار

رجع اختلافهم في بعض المسائل إلى اختلاف النظر إلى بعض الأحاديث والآثار من حيث الأخذ بها أو تركها، فما يأخذ به أهل الحديث قد لا يأخذ به أهل الرأي؛ إما لعدم اطلاعهم عليه، أو لعدم عمل مشايخهم من الصحابة به، أو لوجود مقتضى يستدعي العمل بخلافه.

hadeel ahmed

4. تفريع المسائل وإحداث الجزئيات

فقد كان أهل الرأي يفرعون مسائل ويستنبطون لها الأحكام، ووصل بهم الأمر كما ذكرنا إلى افتراض مسائل لم تقع ويضعون لها الأحكام بناء على الرأي، بخلاف أهل الحديث حيث كان فقههم واقعياً، لا يفتون إلا فيما يقع من مسائل وبالنصوص والآثار لا بالرأي.

لهذه الأسباب وغيرها ظهر الاختلاف في المنهج الاجتهادي الفقهي لكل مدرسة عن الأخرى، حتى قيل: إن الفقه لا يخرج عن هذين الاتجاهين، فإما فقه حديث، وإما فقه رأي، ومن المسلم به أن الفقه لا يقوم إلا على دعامتين هما: الآثار والرأي، وكلاهما ملازم للآخر.

نماذج من المسائل المختلف فيها من المدرستين

وقع الخلاف بين المدرستين في كثير من مسائل الفروع الفقهية، وفيما يلي جملة من هذه المسائل:

1. التَّغْليسُ أو الإسفار بصلاة الفجر:

- المراد بالتغليس: المبادرة بصلاة الفجر في الغلس، أي: في أول وقتها، والمراد بالإسفار: تأخيرها قليلا عن وقتها.
- وقد اختلف أصحاب المدرستين: هل الأفضل في صلاة الفجر التغليس بها أم الإسفار؟
  - فقال أهل الحديث: الأفضل المبادرة بصلاة الفجر بغَلَسٍ، والإسفار بها غير مندوب؛ لما جاء من الأخبار الصريحة في مبادرة النبي ﷺ بصلاة الصبح في أول الوقت.
  - وقال أهل الرأي: الإسفار بها أفضل وقد استدلوا على ذلك بجملة من الأحاديث والآثار المروية عن قول النبي ﷺ وفعله، ومتابعة الصحابة له في ذلك، ومن أدلتهم ما ثبت عن النبي ﷺ قال: "أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر".

2. مشروعية صلاة الاستسقاء:

الاستسقاء يعني: طلب السقي من الله بمطر عند الحاجة إليه على صفة مخصوصة.

وقد ذهب أهل الحديث إلى أن الاستسقاء يصلى له ركعتان تؤديان قبل الدعاء والخطبة، واستدلوا بحديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "خرج رسول الله ﷺ متواضعاً، متبذلا ، متخشعاً، مترسلاً، متضرعاً، فصلى ركعتين كما يصلى في العيد".

وقال أغلب أهل الرأي: ليس في الاستسقاء صلاة مسنونة، وإنما هو دعاء واستغفار فقط.

وما قاله أهل الحديث هو الراجح لقول النبي ﷺ وفعله.

3. القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية:

ذهب أهل الحديث إلى مشروعية قراءة المأموم خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة كصلاة الظهر والعصر، وعدم قراءته خلف الإمام فيما يجهر فيه بالقراءة كالمغرب والعشاء والصبح، واستدلوا لذلك بجملة من الأحاديث، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا".

وذهب أهل الرأي إلى القول بعد مشروعية قراءة المأموم خلف الإمام لا في صلاة سرية ولا في صرة جهرية، واستدلوا ببعض الأحاديث منها قوله ﷺ: "من كان لو إمام فقراءة الإمام له قراءة".

4. الجمع والقصر للحاج:

اختلف أصحاب المدرستين في الجمع بين صلاتي: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، بعرفة والمزدلفة، وقصر الصلاة الرباعية بمنى، بالنسبة للحاج: فقال أهل الحديث: للحاج أن يجمع بين الصلاتين ويقصر، بعرفة والمزدلفة، ويقصر بمنى

hadeel alnafea

سواء كان من أهل مكة أم من غيرهم، واستدلوا بالأحاديث الصحيحة المتواترة التي تدل على أن النبي ﷺ فعل ذلك، وكذلك فعل أبوبكر وعمر -رضي الله عنهما-.

وقال أهل الرأي :إن أهل مكة من الحجيج يتمون، واستدلوا بحديث: "يا أهل مكة، أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر".

والراجح: ما ذهب إليه أهل الحديث، أما قوله ﷺ: "يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر" فقد ورد في موضع آخر وهو أن النبي ﷺ قال ذلك لما صلى بمكة في غزوة الفتح.

5. القضاء بالشاهد ويمين المدعي في الأموال:

أجمع أهل العلم على عدم جواز القضاء بالشاهد واليمين في دعاوى الحدود والقصاص.

أما دعاوى الأموال وما يؤول إليها؛ كالشهادة على الإرث أو الصداق، فهل يشترط فيها نصاب الشهادة (شهادة رجلين)، أو يكتفي بشاهد واحد إذا لم يوجد آخر مع تحليف المدعي اليمين، وبالتالي تقوم اليمين مقام شهادة الشاهد الآخر؟.

ذهب أهل الحديث: إلى جواز القضاء بالشاهد الواحد مع يمين المدعى، واستدلوا على ذلك بما روى عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قضى بيمين وشاهد، وقد وردت في جواز ذلك أحاديث بلغت حد الشهرة، وقد رواها أكثر من عشرين صحابياً، ولأن الصحابة والتابعين قضوا بالشاهد واليمين، وقد ثبت أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عامله بالكوفة: " أقض بالشاهد مع اليمين؛ فإنها السنّة".

وذهب أهل الرأي إلى عدم جواز القضاء بالشاهد واليمين في جميع القضايا، بما فيها دعاوى الأموال، وذلك لعدم اكتمال البينّة مع شاهد واحد، فلا يجوز الحكم بناء على ذلك، وقد حدد الحكم بقوله سبحانه: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ} البقرة:282

6. الحجر على السفيه:

الحجر هو: منع شخص من التصرف في ماله، وهو نوعان: حجر لحق الغير، كالحجر على المدين المفلس، وحجر لحق نفسه، كالحجر على السفيه الذي لا يعرف مصلحة نفسه، ومثله الصغير.

وقد اختلف علماء المدرستين في مشروعية الحجر على السفيه فذهب أهل الحديث: إلى جواز الحجر على السفيه، واستدلوا بقوله سبحانه: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}النساء:5؛ فالآية تنهى عن إعطاء السفهاء أموالهم التي تحت أيدي الغير.

وذهب أهل الرأي: إلى عدم جواز الحجر على السفيه، وتصرفه نافذ، واستدلوا بحديث حيّان بن منقذ وكان يُخْدّع في البيع فطلب أولياؤه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر عليه، فقال له صلى الله عليه وسلم: "إذا ابتعت فقل: لا خلابة ولي الخيار ثلاثة أيام" ولم يحجر عليه.

خصائص الفقه في هذا العصر

من خلال ما سبق ذكره يمكن استخلاص عدة خصائص تميز بها الفقه في هذا العصر عما قبله من العصور، وأهم هذه الخصائص ما يلي:

1) تأسيس الفقه كعلم: حيث أصبح فناً قائماً بذاته، متميزاً عن غيره من العلوم والفنون الأخرى كعلم الحديث، وعلم التفسير، وعلم الكلام، وغيرها من العلوم، وهذا يظهر جلياً من تفرق الفقهاء في الأمصار الإسلامية ونشأة المدارس الفقهية.

2) اتساع دائرة النشاط الفقهي: وذلك لكثرة الوقائع والمسائل الفقهية مع انتشار الفتح الإسلامي، ودخول أصحاب البلاد المفتوحة في دين الله، فكان العلماء يواجهون كثيراً من المسائل ويسألون عن الفتيا فيها، فأصبح ذلك المنحي العلمي هو الغالب، فاتجه الطلاب إليه، وظهرت بوادر الصبغة الفقهية في تعليمهم، وازداد النشاط الفقهي لدى التابعين أكثر مما كان عليه في عهد الصحابة.

3) الحاجة إلى تدوين الأحاديث الصحيحة وتمييزها عن غيرها: وبهذا ظهرت فكرة التدوين والحفظ للأحاديث وآثار الصحابة للاعتماد عليها في الإفتاء.

4) مواجهة العلماء للوضاعين الذين اشتغلوا بالدس والكذب في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكشف ما اختلقوه من أحاديث، والتحذير منها، ومن العمل به.

5) ظهور المدارس الفقهية: حيث ظهرت مدرستان: مدرسة الحديث في الحجاز، ومدرسة الرأي في العراق، كان لهما الفضل في نمو الفقه وازدهاره، وكانت هاتان المدرستان النواة لنشأة المذاهب الفقهية فيما بعد.

أشهر المفتين في هذا العصر

في هذا العصر كانت الشهرة في الفتوى للتابعين؛ نظراً لوجود عدد قليل من الصحابة، ولموت كبارهم، ولاشتغال من بقى منهم بأمور الدولة.

وها هي ترجمة موجزة لأشهر المفتين في هذا العصر في ربوع الدولة الإسلامية:

1. سعيد بن المسيب:

هو أبو محمد سَعِيد بْنِ الْمُسَيِّب بْنُ حَزْنٍ القرشي المخزومي المدني، ولد لسنتين من خلافة عمر، أكب على العلم وحفظ القرآن والكثير من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كان من سادات التابعين فقهاً، وديناً، وورعاً، حتى كان يُدعى (فقيه الفقهاء) وهو أحد فقهاء المدينة السبعة.

وكان رحمه الله تاجراً يبيع ويشتري، وكان يفتى والصحابة موجودون، وكان أعبر الناس للرؤيا، وأعلمهم بأنساب قريش.

وكان لا يقبل جوائز السلطان، حج أربعين حجة، وما تخلف عن الصف الأول خمسين سنة.

توفى رحمه الله سنة (94هـ).

2. عكرمة مولى ابن عباس:

هو أبوعبدالله عكرمة بن عبدالله المغربي البربري، تملكه ابن عباس-رضي الله عنهما- وقت أن كان والياً على البصرة من قبل على بن أبي طالب رضي الله عنه.

حفظ عكرمة القرآن وعلّمه ابن عباس الحديث، واعتنى به، ومازال يستزيد من علم ابن عباس حتى أذن له بالفتوى، فأصبح من كبار الأئمة الذين يأتي الناس إليهم من كل قطر، وكان -رحمه الله- إلى جانب علمه بالفقه من مشاهير المفسرين.

توفى رحمه الله سنة (105هـ) وقيل: سنة (107هـ).

3. نافع مولى ابن عمر:

هو أبوعبدالله المدني، أصابه مولاه من سبي الديلم، فعلّمه وهذبه.

hadeel alnafea

سمع من ابن عمر، وأبي هريرة، وأم سلمة وغيرهم، وأخذ عنه صالح بن كيسان، والأوزاعي ومالك وخلق كثير.

من أعلم فقهاء المدينة، وهو أحد رجال السلسلة الذهبية التي قال فيها البخاري: "أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر".

وهو من أئمة التابعين: إمام في العلم، صحيح الرواية، وله مكانة سامية عند ابن عمر-رضي الله عنهما-.

توفى رحمه الله -سنة (117هـ) وقيل غير ذلك.

4. مجاهد بن جبر:

هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي، المكي، المقرئ، ولد سنة (21هـ) في خلافة عمر.

تتلمذ على يد كثير من الصحابة، وأخذ عنه خلق كثير، منهم: عطاء، وعكرمة، والأعمش، وقتادة، وغيرهم.

كان أعلم الناس في زمانه بالتفسير والفقه.

توفى -رحمه الله- سنة (102هـ) وقيل غير ذلك.

5. عطاء بن أبي رباح:

هو أبو محمد، عطاء بن أبي رباح، مولى بني فهد، المكي، من أعلم التابعين، وأجلهم، وأزهدهم، كان مرجعاً في الفتوى.

تتلمذ على أيدي كثير من الصحابة، وروى عنه خلق كثير، وهو أعلم الناس بالمناسك.

توفى -رحمه الله- سنة (115هـ) عن مائة سنة.

6. عروة بن الزبير:

هو أبوعبدالله، عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، أحد فقهاء المدينة السبعة.

ولد سنة (22هـ) وقيل سنة (26هـ) سمع من خالته عائشة -رضي الله عنها- ومن أخيه عبدالله بن الزبير، وغيرهما، وروى عنه كثيرون.

كان عالماً، تقيّا ورعاً.

توفى -رحمه الله- سنة (93هـ) وقيل: سنة (94هـ).

7. محمد بن شهاب الزهري:

هو أبوبكر، محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب القرشي الزهري، من بني زهرة، أحد فقهاء المدينة، وأحد الأعلام المشهورين.

سمع من أنس بن مالك، ورأي عشرة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

شيخ الإمام مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وغيرهم.

توفى -رحمه الله- سنة (124هـ).

hadeel alnafea

8. طاووس بن كيسان:

هو أبو عبدالرحمن الحميري، كان رأساً في العلم والعمل، روى عن زيد بن ثابت، وأبي هريرة، وغيرهما وقال: أدركت خمسين من الصحابة.

أخذ عنه سليمان التيمي، والزهري، وجماعة، وهو عالم اليمن، كان يعد الحديث حرفاً حرفاً وكان كثير الطاعات.

توفى -رحمه الله- بمكة سنة (106هـ).

9. علقمة بن قيس النخعي:

هو علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك النخعي الكوفي، كانت ولادته في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى عن جمع من الصحابة، منهم: عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وغيرهم، وكان من المتأثرين بابن مسعود.

وقد أخذ عنه: إبراهيم النخعي، والشعبي، وابن ستَين، وغيرهم، وكان أعلم الناس بحديث ابن مسعود، وقال عنه الذهبي: كان فقيهاً، إماماً، بارعاً، طيب الصوت بالقرآن ثبتاً فيما ينقل، وصاحب خير وورع.

توفى -رحمه الله- سنة (61هـ) وقيل: سنة (62هـ) .

10. الحسن البصري:

هو أبوسعيد، الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وهو من سادات التابعين وكبرائهم.

روى عن كثير من الصحابة والتابعين وأخذ عنه العلم خلق كثير،

وقد برع في الحديث والفقه وعلم الكلام، والبلاغة، ولم يكن يتعرض للحوادث السياسية التي سبقت عصره.

وبالجملة: كان الحسن البصري عظيم القدر في علمه، ودينه، وفصاحته، وخلقه، عدّه القاضي عياض من الأئمة أصحاب المذاهب المقلدة المدونة، وقال ابن القيم :جمع بعض العلماء فتاويه في سبعة أسفار ضخمة.

توفى -رحمه الله- سنة(110هـ) وتبع أهل البصرة كلهم جنازته حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر.

11. إبراهيم النخعي:

هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، الكوفي، ولد سنة (46هـ)، روى عن شريح وعلقمة، ومسروق وغيرهم.

وهو شيخ حماد بن أبي سليمان شيخ الإمام أبي حنيفة، وقد أجمع العلماء على جلالته، وبراعته في الفقه.

توفى -رحمه الله- وهو مختف من الحجاج بن يوسف سنة(96هـ).

hadeelalnaiea

وهناك غير هؤلاء الأئمة المفتين أئمة آخرون نبغوا في هذا العصر، وكان لهم دور كبير في الحركة العلمية عامة، والحركة الفقهية خاصة، منهم:

- الأسود بن يزيد، أبو عمر النخعي، أحد فقهاء الكوفة الكبار، والمتوفى سنة (74هـ).
- مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي، الفقيه الورع، المتوفى سنة (63هـ).
- عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو الكوفي، الإمام الجليل الذي اشتهر بالعلم والفقه المتوفى سنة (104هـ).
- محمد بن سيرين، أبوبكر البصري، المحدث الفقيه، الشهير بتعبير الرؤى، المتوفى سنة (110هـ).
- شريح القاضي المتوفى سنة (78هـ).
- سعيد بن جبير المتوفى سنة (95هـ).
- مكحول المتوفى سنة (112هـ).
- أبو إدريس الخولاني المتوفى سنة(80هـ).

hadeel alnafea